المحاضرة الخامسة ج1

بنية الشخصية في الرواية

(مفهوم الشخصية والنموذج العاملي في الرواية)

تمهيد:

تمثل الشخصية عنصرا محوريا في كل سرد، حيث لا يمكننا تصور عمل روائي بدونها وعرفت على أنها المحرك الرئيس الذي يدفع بتطور الأحداث داخل المتن الروائي، وقد تجلت عدّة مفاهيم حول الشخصية باعتبارها:" المحور الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث وعليها يكون العبء الأول في إقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها"[1]

وعليه يمكن القول أن الشخصية هي المحرك الأساس في تطوير وتحريك أحداث الرواية وهي كل مشارك في الرواية سلبا وإيجابا أما من لا يشارك في الحدث لا ينتمي إلى الشخصيات بل يعد جزءا من الوصف.

أولا- بنية الشخصية في الرواية:

1- حول مفهوم الشخصية عند الدارسين و النقاد:

يعد مكون الشخصية في مجال الحكي الأدبي من المكونات الأساسية التي يقوم عليها فعل الحكي حيث توزع هذا المكون كمصطلح نظري وإجرائي في تحليل النصوص الأدبية من رواية، أسطورة، قصة ومسرح... يقول **بارث**:" إنه ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات."[(2)]

فالعلاقة وثيقة بين الحدث الروائي والشخصيات، فلا حدث بدون فاعل يحركه لذلك يمكن أن تشكل الشخصيات" مستوى وصفياً لا غنى عنه لفهم الأحداث الواردة في السرد".[(3)]

فالشخصية كانت محور اهتمام الباحثين ودراساتهم منذ القديم إلى الحديث: " حيث كانت الأشكال البدائية للسرد تكتفي في تمييزها لشخصية بإعطائها اسما من دون أن تسند لها أية صفة أخرى وذلك حتى يتسنى لها أن توكل للشخصية الأحداث والأفعال الضرورية لمسار

---

[1] سعد رياض، **الشخصية –أنواعها، أمراضها وفن التعامل معها**، مؤسسة اقرأ القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 11.

([2]) رولان بارث: **مدخل إلى التحليل البنيوي للقص**: ترجمة : منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 2002، ص64.

([3]) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب، ط1، 1990، ص219.

الحكاية أما الأشكال الأكثر تعقيداً في السرد فقد أصبحت تقتضي أن تكون الأحداث التي تقوم بها الشخصية منسجمة مع طبيعتها النفسية والمزاجية." [1]

أ-عند الغرب:

يرى **"بارث"** أن الشخصية تطورت من مجرد اسم فاعل لتأخذ بعد ذلك " كثافة نفسية وأصبحت من ثمَّ فردًا أو شخصاً و باختصار لقد أصبحت كائناً متكوناً تكونًا كاملاً حتى وإن لا تقوم بأي عمل من الأعمال، وكذلك أيضاً من قبل أن تتصرف أي تصرف ولقد كفت الشخصية عن أن تكون ملحقة بالفعل وجسدت مباشرة جوهراً نفسياً."[2]

فلقد رصد العلماء تطور الشخصية الروائية ووضعوا لها عدة تصنيفات حيث" تعتمد التيبولوجيات الشكلية في ذلك على عدد من التحديدات، من أهم تلك التحديدات خاصية الثبات و المتغير التي تتميز بها الشخصية والتي تتيح لنا توزيع الشخصيات إلى سكونية (statiques) وهي التي تظل ثابتة دون تغيير طوال السرد و دينامكية (dynamiques) تمتاز بالتحولات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية الحكائية الواحدة."[3]

لقد تصاعدت قيمة الإنسان في هذه الحقبة لتحتل بذلك الشخصية مكاناً بارزًا في الأعمال الروائية حيث أصبح لها وجودًا مستقلاً." وبما أن الشخصية لا يمكنها أن تظل مرتبطة بحياة مجتمع انتهى فقد تخلت الرواية عن فكرة القوة العظمى للشخص، وهكذا إنتقل خلل المجتمع إلى الشخصية الروائية والتي حطمت القواعد المتفق عليها وأصبح**"بيكيت"** يغير اسم وشكل بطله في نفس العمل، و**"كافكا"** في روايته القصر يقف عند الحرف الواحد من اسم بطله و**"فولكنز"** يسمي عن عمد شخصين مختلفين بنفس الاسم." [4]

ولعل هذه العلاقات بين المتغيرات الطارئة في مجتمع بداية النهضة دفعت**" لوكاتش"** لتحديد صفة ووظيفة بطل روائي جديد أسماه البطل الإشكالي المفهوم الذي استلهمه وطوره **"غولدمان"** بعده، " إن شكل الرواية الذي يدرسه **"لوكاتش"** هو الشكل الذي يميز وجود بطل روائي أطلق عليه لحسن الحظ مصطلحاً مناسباً جداً، هو مصطلح البطل الإشكالي، إن الرواية هي تاريخ بحث منحط يسميه لوكا تش شيطاني بحث عن قيم أصلية في عالم منحط هو الأخر ولكن على صعيد متقدم بشكل مغاير ووفق كيفية مختلفة."[5]

ف**"لوكاتش"** يحث على ضرورة الحفاظ على وجود البطل داخل الرواية وبدونه تصبح حركية الرواية كعامل محدد مستحيلة بل معدومة، ومن هذا المنطلق من العلاقة بين البطل

([1]) نفسه، ص211.

([2]) رولان بارث، مدخل إلى التحليل البنيوي للقص ، ص62، ص63.

([3])حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ، ص215.

([4])حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ص08، ص209.

([5]): لوسيان غولدمان: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط 1، 1993 ، ص 14.

والعالم يقسم رواية القرن التاسع عشر إلى ثلاثة أنماط وهي: رواية المثالية التجريدية، الرواية السيكولوجية والرواية التربوية.[1]

ومن هذا الطرح يقدم **"نورثووب فراي"** ثنائية البطل والبطل المضاد التي تشكل أطراف الصراع داخل الرواية، لأنها بسبب شكلها ذو الطبيعة الدياليكتيكية لا يمكنها أن تقوم إلا في إطار هذه الثنائية، فالبطل الذي يحمل صفات الكائن الإلهي ويمثل العالم العلوي سيجد نفسه في مواجهة البطل المضاد في العالم السفلي، والذي تمثله القوى الشيطانية وقدرة البطل على المواجهة هو ما يميز بين الأسطورة والرواية.[2]

أما **"باختين"** فقد سلك نهجاً يخالف تماماً هذا المنهج× حيث شكل نوعاً من الانقلابية حول مفهوم الشخصية الذي كان قبل ذلك، " فليس المهم عنده ما تمثله الشخصية في العالم ولكن ما يمثله العالم بالنسبة للشخصية وما تمثله الشخصية بالنسبة لنفسها، وهذا المبدأ الخاص قد لعب دوراً هاما في كيفية فهم **"باختين"** للشخصيات."[3]

فتركيزه على البطل كوجهة نظر أو كرؤية لنفسه والعالم يتطلب تقنية خاصة في التحليل والوصف حيث يقول: " فليس الوجود المعطى لشخصية، ولا لصورتها المعدة بصرامة هو ما يجب الكشف عنه وتحديده وإنما وعي البطل وإدراكه لذاته أو بعبارة أخرى كلمته الأخيرة حول العالم وحول نفسه".[4]

يبدو أن هذا المصطلح أخذ جزءًا كبيرًا من اهتمام النقاد إلى حد السقوط في التعميم، وعندما جاء الشكلانيون والبنيويون أخذ مفهوم الشخصية ينحرف عن المفاهيم السابقة، عندما ركزوا عن الأدوار والوظائف التي تقوم بها" ومن المعروف أن هذا الانتقال قد جاء كرد فعل على تركيز الاهتمام على الشخصية باعتبارها كائناً إنسانيا (مليئاً بالحياة) وعلى تجاهل للقصدية الكامنة وراء خلقها وتشكيلها. " [5]

يقول **رولان بارث**: " إن التحليل البنيوي منذ ظهوره نفر نفورًا كبيرًا من معالجة الشخصية كما لو أنها جوهر، حتى وإن تعلق الأمر بالتصنيف وكما ذكر **"تودوروف"** فإن **"توماشفسكي"** قد أنكر على الشخصية أي أهمية سردية، ثم خفف من حدة هذه النظرة فيما بعد." [6]

فالتحليل البنيوي كما عند **"تودوروف"** و**"هامون"** ينظر إلى الشخصية من منظور لساني؛ حيث يرى أن لها وجهين هو الدال والمدلول " وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنها

([1]) المرجع نفسه، ص15، ص16.
([2])حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ، ص 209، ص210.
([3])المرجع نقسه ، ص210.

([4]) المرجع نفسه،ص210.

([5]) المرجع نفسه، ص221.

([6]) رولان بارث، مدخل إلى التحليل البنيوي للقص ، ص63.

تتخذ عدة أسماء أو أوصفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول، فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها" [1]، رغم أنها تختلف عن الدال اللغوي اللساني بأنها جاهزة مسبقاً ذلك باستثناء الاستعمال البلاغي الخاص.

كما لجأ بعض الباحثين إلى طرق أخرى لتحديد هوية الشخصية الحكائية تعتمد محور القارئ ؛ لأنه هو الذي يكون بالتدريج ـ عبر القراءة ـ صورة عنها ويكون ذلك بواسطة مصادر إخبارية ثلاثة:

- ما يخبر به الروائي .
- ما تخبر به الشخصيات ذاتها.
- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.

أما **"غريماس"** في مفهومه للشخصية يميز بين مستويين: " مستوى عاملي تتخذ فيه الشخصية مفهوماً شمولياً مجردًا يهتم بالأدوار، ولا يهتم بالذوات المنجزة لها و مستوى ممتلئ (نسبة إلى التمثيل)، تتخذ فيه الشخصية صورة فرد يقوم بدور ما في الحكي، فهي شخص فاعل يشارك مع غيره في تحديد دور عاملي واحد ، أو عدة أدوار عامليه. إن عدد العوامل في كل حكي محدد على الدوام في ستة هي: المرسل ، المرسل إليه، الذات، الموضوع، المساعد، المعارض، أما عدد الممثلين فلا حدود له." [2]

لقد توصل **"فيليب هامون"** إلى إيجاد طريقة تسمح له بأن يتعرف على الشخصية ويصنفها دلالياً من خلال مقياسين مهمين وهما:" **المقياس الكمي**: وينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية، **المقياس النوعي**: أي مصدر تلك المعلومات حول الشخصية هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أوبطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو المؤلف، أو فيما إذا كان الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية يمكن أن نستخلصها من سلوك الشخصية وأفعالها."[3]

فاستعمال المقياس الكمي في الدراسة يمكن من إدراك الأبعاد الدالة والوضع الحقيقي الذي يتخذه هذا المكون الأساسي ضمن البنية الروائية، كما يسمح المقياس الثاني(النوعي) بالتعرف على أشكال تقديم المعلومات عن شخصية ما داخل الرواية. وبناء على ما سبق سنحاول تلخيص نظام الفواعل والوظائف في الآتي:

*** <u>الوظائف والفواعل في الرواية:</u>**

- تصنيف فلاديمير بروب(Vladimir Prop.p):

أحد أعلام النقد الأدبي الحديث ويرى أن الوظائف التي تقوم بها الشخصيات لا تقتصر في وظيفة واحدة أو اثنان إنما في عدة وظائف مختلفة الأشكال والأنواع فأطلق عليها مصطلح وظيفة

([1]) حميد لحميداني: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، ص51.

([2]):حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ص52.

([3])المرجع نفسه، ص224.

وحصرها في إحدى وثلاثين وظيفة قابلة إلى أن تقلص في دوائر لا يتعدى عددها سبع دوائر وهي: "دائرة الفعل المتعدي.دائرة الفعل الواهب.دائرة الفعل المساعد

- دائرة فعل الأميرة.دائرة فعل الموكل.دائرة فعل البطل.دائرة فعل البطل المزيف.[1]

إذ يلح بروب على أن أوصاف الشخصيات وأحداثها وظائفها تبقى ثابتة ضمن الأدوار الحكائية لا تتغير، وإنما ما يتغير هو الأسماء فقط.

✓ **تصنيف فيليب هامون: (Ph.Hamon):**

- يرى هامون إن الشخصية في "الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص، وصنف الروايات الروائية إلى ثلاثة أنواع" [2]:

- فئة الشخصيات المرجعية:Personnages référentiels:

و"تدخل ضمن ضمنها الشخصيات التاريخية والشخصيات الأسطورية والشخصيات المجازية والشخصيات الاجتماعية"[3]- فئة الشخصيات الواصلة:P.Anaphoriqucs:

وهي الجسر الرابط بين القارئ والمؤلف فهمي علامة على حضور المؤلف أكثر ما تعبر عن الرواة والأدباء والفنانين.

- الشخصيات المتكررة p. anaphoriques:

فهذا النوع من الشخصيات يكمن في أنها "التي تبشر بخير وتنذر في الحلم "[4]

✓ **تصنيف إتيان سوريو (I.Syrio):**

تقوم وظائف الشخصيات عند سوريو "انطلاقا من المسرح هده المرة، بإعداد نموذج عاملي يتكون من ست وحدات يسميها وظائف درامية وهي مختلفة شيئاً ما عن مفهوم الوظيفة عند بروب، فهناك البطل، إلى جانب البطل المضاد، أما الموضوع والمرسل والمرسل إليه، المساعد"[5] نلاحظ مما سبق أن "سوريو" أول من وضع توبولوجية خاصة بالشخصية المسرحية أو الدرامية.

تصنيف غريماس:"Greimas":

لقد عمل غريماس على جهود "بروب" و"سوريو" في تصنيف الشخصية الروائية فهو يرى أن الشخصية على أنها وظيفة نحوية ووضع ستة عوامل هي:

العامل الذات. العامل الموضوع.العامل المرسل.العامل المرسل إليه. العامل المساعد.العامل المعاكس." [6]

ومنه نخلص إلى أن الإجراءات التي أتى بها "غريماس" تدعم بالدرجة الأولى التحليل العاملي، الذي يساعد على كيفية تحليل البنية الداخلية العميقة للقصة، المتكونة من جملة من الأحداث والشخصيات وربطها بالبنية السطحية.

---

[1] محمد عزام:**شعرية الخطاب السردي**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق دون طبعة، 2005، ص 11

[2] المرجع نفسه، ص10

[3] حسن بحراوي: **بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، ص [216-217]

[4] محمد عزام: **شعرية الخطاب السردي**، ص 11

[5] حسن بحراوي: **بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، ص 218

[6] محمد عزام: **شعرية الخطاب السردي**، ص 14.

ب- عند العرب:

ثانيا- النموذج العاملي في الرواية:

تعتبر البنية العاملية أهم مستويات التحليل السيميائي للنصوص السردية، وهي تقوم على **"النموذج العاملي"**، «حيث يعدّ هذا الأخير تشخيصا غير تزامني واستبدالا لعالم الأفعال، ذلك أن السرد يقوم على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول في آن واحد»[1].

ويتشكل النظام العاملي وفق الترسيمة التي حددها **"غريماس"** على النحو الآتي:

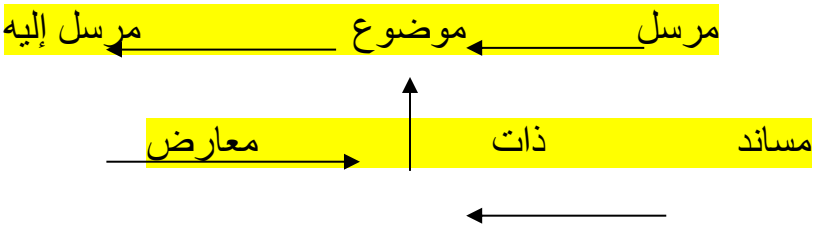

يتكون النموذج السابق من ستة عوامل رئيسة تعتبر محورا أساسيا لكل حكي، بحيث لا يمكن أن يكون النموذج إلاّ نسبي التحقق على اعتبار حالات الصراع الإنساني ونشاطاته.

ترتبط العوامل في سياق الوظائف التي يسميها **"غريماس"** ملفوظات **"ennonceés"** وفق نمطين هما:

- ملفوظات الحالة: الذي يحدد لنا طبيعة العلاقة بين الذات والموضوع من حيث الاتصال والانفصال.
- ملفوظات الإنجاز أو الفعل: تجسيد مختلف التحولات من حالة تواصل إلى أخرى بين مختلف العوامل.

فتفاعل ملفوظات الحالة مع ملفوظات الفعل يؤدي إلى تفاعل مختلف العوامل الأخرى، إذن فعلاقة التواصل تكون بداية من المرسل إلى المرسل إليه، أما محور الرغبة فيتحدد بالعلاقة بين (فاعل/موضوع)، أما محور الصراع فيتحقق بدافعي الرغبة والتواصل أو منع حصولهما بين عاملين أساسيين (المساعد والمعارض)، فتظهر وظيفة المساعد في تقديم العون للذات ومؤازرتها قصد تحقيق رغبتها، فيما يقوم المعارض بوضع العقبات لمنع ذلك، وعلى شاكلة هذه العلاقات تبنى القصة.

فتحليل الملفوظ السردي وفق هذه الرؤية، «يسمح بالكشف عن البنايات الفاعلة والمسار الغرضي، ثم البنية العميقة، فتحديد موضوعات القيمة في النص يساعد على تحديد البنيات الفاعلية، ففي موضوع علاقاتها أي تحولاتها وتفاعلاتها يمكن تعيين أهم التجليات الغرضية للنص»[2]، لذلك من الضروري حضور هذه العوامل في النص السردي، فخلو النص منها معناه افتقاره ونقصه وعدم اكتماله الفني.

---

[1] أحمد طالب: **المنهج السيميائي "من النظرية إلى التطبيق"**، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 23.

[2] عبد الحميد بورايو: **التحليل السيميائي للخطاب السردي، دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة**، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، د ط، 2003، ص 09.

ما يمكن استنتاجه من هذه المفاهيم، هو إمكانية الاستفادة منها، خاصة تلك الإجراءات التي قدمها **"غريماس"**، والتي تولي أهمية كبيرة للتحليل العاملي الذي تساعد على كيفية تحليل البنية الداخلية العميقة للقصة، المتكونة من جملة من الأحداث والشخصيات، وربطها بالبنية السطحية.